التأسي

بالحسين عليه السلام

للعلامة عبد الكريم رضا

قال النبي (ص) [من سنّ سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل اجر من عمل بها] وقال امير المؤمنين (ع) في كتابه الى ابن حنيف [ألا وان لكل مأموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه] .

ان المعتقد بامامة الحسين (ع) وكماله يتحتم عليه ان يقتدي به ويتخلق باخلاقه ولا يتم الاقتداء إلا بسلوك طريقته والاهتداء بهداه والتأسي به في تحمل الضرر والشدائد والايذاء في سبيل الحق وهداية الخلق ومكافحة الظالمين والامر بالمعروف والدعوة الى الخير فمن رغب عن التأسي به لايكون مستحسناً لحركته وثورته على المتجبرين الطغاة ولا معتقداً بحسن سيرته وسلوكه وعصمته وكماله ولا مشتاقاً الى القرب منه والتشبه به وكيف يكون معتقداً بامامته ومستحسناً طريقته من يرى حرمات الله تنتهك امام عينيه وعباد الله يضطهدون جهاراً ولا يندفع لنصرتهم لا بيد ولا بلسان .

ان الهدف المقصود من دراسة سيرة المصلحين واهل الكمال والاحتفال بذكراهم هو تنشيط الهمم وشحذ العزائم على متابعتهم واستقامة السير على طريقتهم والعلة التي من اجلها كثر الحث والترغيب في زيارة الحسين عليه السلام والبكاء عليه انما هي تذكر واستحضار طريقة سلوكه في كفاحه وجهاده ومقاومته للبغي والظلم والاستبداد والاستغلال حتى يكون هذا التذكر باعثاً على القدوة والتأسي به في مكافحة الطغاة المتجبرين وتحمل المصائب والسجون الناتجة عن هذه المكافحة .

كان الحسين (ع) يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ما كان يجرى في المملكة الاسلامية في عهد معاوية وولده يزيد وعمالهما من ظلم وجور واستبداد وغطرسة على الطبقات المنتجة وانتهاك لحرمات الدين فقد اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا واستغلوا الناس واغتصبوا منهم ارباحهم فساءت الاحوال وفسدت الأخلاق ووقع المسلمون واهل الذمة في هوّة الذل والخنوع وانقطعت آمال العاملين من ثمرات اعمالهم وفوائد مكاسبهم حتى انتهت غطرسة معاوية الى حد لايطيق الصبر عليها من كان في قلبه مثقال ذرة من الرحمة على اهل دينه وبني نوعه فانه لم يقنع باستعباد الموالي من الفرس والروم وغيرهم ولم يكتف بخضوعهم للانتاج والخدمة والاستغلال بل اراد ان يقتل شطراً منهم ويدع شطراً لاقامة السوق وعمارة الطريق من دون ذنب اقترفوه ومن دون ان تظهر عليهم رائحة العصيان أو التمرد واكثر هؤلاء الموالي كانوا مسلمين وسائرهم من اهل الذمة وكان معاوية يشجع العصبية الجاهلية والنعرات القبلية .

واما يزيد فقد زاد في الطنبور نغمة فقد كانت سيرته الخاصة في حياة ابيه وبعد وفاته هي الى الجاهلية اقرب منها الى الاسلام فقد كان صاحب طرب وجوارح وكلاب للصيد ومنادمة على الشراب وفي ايام خلافته كثر استعمال الملاهي واستهتر الناس بشرب الشراب وغلب على عماله واقربائه ما كان يفعله من المنكرات وقد تابعهم في سلوكهم ابناء الطبقات الارستقراطية الذين توزع عليهم اموال بيوت المال من دون حساب .

رأى الحسين (ع) ان الصبر على الحالة العامة في عهد يزيد تفسد اخلاق المسلمين وتذل نفوسهم وتذهب بأسهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة فاذا طال عليهم امد الظلم والاضطهاد والاستبداد وانتهاك حرمات الدين تألف نفوسهم الخنوع وتعتاد على المهانة والخضوع فتصير هذه الاخلاق المكتسبة موروثة حتى تكون كالغرائز الفطرية والتاريخ يحدثنا عن كثير من الأمم طال عليها امد الظلم والجور والعسف فطبعت نفوسهم بطابع الذل والمهانة .

بعد ان رأى الحسين (ع) ذلك لم يكن له بد من الثورة على يزيد وعماله واعوانه ومكافحتهم لأجل المحافظة على اخلاق المسلمين من أن تصاب بالتدهور ويتبع تدهور الأخلاق تزلزل القواعد الدينية والتحلل من الروابط الاسلامية .

لما عزم الحسين (ع) على مكافحة يزيد وعماله امتنع عن بيعته واجاب دعوة الكوفيين مع عدم ثقته بهم لأن اهدافه ومقاصده ما كانت منوطة بشباتهم ووفائهم ببيعتهم له فانه يريد

كفاح ائمة الجور والضلال سواء أقلت انصاره أم كثرت فاذا لم يؤثر كفاحه في اسقاط دولة الأمويين وتشكيل حكومة عادلة فسوف يكون اثره عظيما في مشايعة المصلحين له على الكفاح ومتابعتهم لحركته كما قال مصعب بن الزبير .

وان الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وفي حركته وثورته على يزيد حافظ على اخلاق المسلمين وعلمهم طريق المكافحة التي تخرجهم من ذل العبودية والاستغلال الى عز العدل والحرية ونفخ فيهم روح الاقدام والشجاعة وتحمل المصائب والشدائد كما نفخ فيهم روح المقت والبغض لبني امية فصارت السلطات الحاكمة تحاذر من قيام الامة وثورتها فيضطرها ذلك الى تحسين سلوكها مع الناس ومجاملتهم وتخفيف الضغط عنهم وهذه الفائدة من اعظم مقاصد المصلحين .

ان بعض الناس ينفرون وينفرون غيرهم عن التأسي بالحسين في النضال والكفاح ضد الظلم والاستغلال وانتهاك حرمات الدين ولا يرتاحون الى من يوطن نفسه على احتمال المصائب والسجون في سبيل معاونة المستضعفين وهؤلاء اصناف فصنف يفعلون ذلك تأييداً لبعض الامراء أو الوزراء جزاءاً للهدايا التي تصل اليهم منهم فاذا انقطعت عنهم هذه الهدايا اخذوا يحرضون الناس على من لم يشاركهم في الغنيمة وصنف آخر يعتقدون ان الذين يدعون الى الكفاح هم رجال انتهازيون لاهم لهم إلا المناصب والوظائف بعد ان يورطوا الناس في المشاكل ويعرضونهم الى المخاطر وهذا يصدق على بعض السياسيين ولكن وجود بعض الانتهازيين في قيادة الحركات السياسية لا يبرر الدعاية الى الخضوع والاستسلام للطغاة الجبابرة الجشعين بل يحتم اسداء النصائح للجماهير بان يكونوا على حذر ممن يقود حركتهم وان يتهيؤا ويستعدوا لتأديبه والانتقام منه اذا غدر وغدر بهم في سبيل شهواته وغاياته الشخصية ، وصنف ثالث يمنعهم الجبن عن التأسي بالحسين عليه السلام فيزعمون ان مكافحة الظالمين المفسدين غير مفيدة وان المكافح يعرض نفسه وغيره للضرر والمخاطر وهذا شأن طائفة ضربت عليهم الذلة ، وآرائهم هذه تدل على سوء اعتقادهم بعصمة الحسين « ع » وكماله وتكشف عن انهم لم يستحسنوا حركة الحسين « ع » ومكافحته ليزيد وعماله لأنهم اذا اعتقدوا بقبح مكافحة الظلم والطغيان اذا كانت نتيجة المكافحة ان يكون المكافح عرضة للسجن او التوقيف فبطريق اولى انهم ينتقدون الحسين « ع » في باطنهم وان لم يجهروا بذلك لأنه عليه السلام لما عزم على مكافحة ظلم بني امية واعوانهم عرض نفسه واولاده وعشيرته واصحابه للقتل .

قد ذكرنا آنفاً الفوائد التي تنجم عن مكافحة الطغاة المستبدين فانها تحفظ الاخلاق من التدهور وتنفخ في الأمة روح الاقدام والشجاعة وتضطر اهل الظلم والبغي الى تحسين سلوكهم وتقليل ظلمهم ومداراتهم للناس وقد قال النبي « ص » [افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر] وقال النبي « ص » [سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله] فهذان الحديثان الشريفان يتضمنان الحث والتحريض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكافحة الطغاة المستبدين حتى في الموارد التي يحصل فيها الظن او القطع بالتوقيف او السجن او الضرب ، وعمل الحسين عليه السلام في كفاحه اقوى حجة على حسن تحمل المصائب والشدائد في سبيل مكافحة الظالمين وغاية ما يقول الفقهاء ان تحمل الأذية والضرر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير واجب بل مستحب .

ان التوقيف والسجن في سبيل المصلحة العامة لا يعد ضرراً في حق من لا يخشى الضيعة على عياله واطفاله وعمومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ترفع اليد عنها من اجل جبن بعض ضعفاء القلوب الذين يعمل الشر البعيد في تخذيلهم واحجامهم ما لا يفعله الشر القريب في قلوب الشجعان المعتدلي الطبع والسجن والتوقيف اذا كان من اجل تقليل الظلم عن المستضعفين لا يؤثر على منزلة الشخص الاجتماعية كما ان سجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام وغيره من المصلحين لم يؤثر على مقاماتهم العالية ومنازلهم الرفيعة .

الحلة — عبد الكريم رضا

المحامي

محمد رضا السيد سلمان

يتوكل في كافة الدعاوى داخل النجف وخارجها